الإساءة الجنسية للأطفال

حرم وجرّم الإسلام العظيم الإساءة الجنسية للأطفال لما يترتب عليها من أضرار جسيمة، ووضع لها عقوبات شديدة وإن توفير سبل الحماية من هذه الجريمة لهو واجب الدولة والمجتمع والأسرة.

المقصود بالإساءة الجنسية للأطفال: أي سلوك جنسي غير مناسب مع الطفل بما في ذلك ملامسة الأعضاء الجنسية للطفل، أو إجباره على ملامسة الأعضاء الجنسية للكبار، أو المضاجعة الجنسية، أو سفاح القربى، أو الاغتصاب أو التحرش بأي نوع أو التعرض لأي مادة جنسية أو إباحية، أو الاستغلال الجنسي، كما تشمل أيضاً أي إجبار، أو خديعة أو رشوة، أو تهديد، أو ضغوط على الطفل لممارسة نشاط جنسي، وتحدث الإساءة الجنسية عندما يقوم أحد الكبار البالغين أو أحد كبار السن، أو أحد الأطفال باستخدام طفل آخر للحصول على المتعة الجنسية، وتعد الإساءة الجنسية نوعاً من أنواع سوء استخدام السلطة على الطفل.

ونظراً لتزايد عدد الأطفال الذين يتعرضون للإساءة وسوء المعاملة عبر العالم أكدت كافة المواثيق الدولية والوطنية على أهمية الأسرة بالنسبة لرعاية الأطفال وعلى حقهم في أن يحيوا في كنفها متمتعين بكافة حقوق الرعاية والحماية والتعليم.

وتترتب على هذه الجريمة أضرار بالغة الخطورة على الطفل والمجتمع، كما تترتب عليها آلام نفسية شديدة للطفل الضحية تظل تؤرقه طوال حياته، وقد تؤدي إلى وجود أولاد لا أنساب لهم ولا أسر مما يؤدي إلى انعدام الرعاية الأسرية وتتضاعف المشكلات الاجتماعية، مع انتشار الأمراض الجنسية الخطيرة كالزهري والسيلان والإيدز وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ....وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ ....١٥١ ﴾[1].

[1] سورة الأنعام-من الآية ١٥١.

أسباب الإساءة الجنسية والتوجيه الإسلامي لحماية الأطفال منها:

أولاً: غياب الرعاية الأسرية:

حذَر الإسلام من انشغال الآباء والأمهات عن أطفالهم، لما قد يترتب على ذلك من تعرضهم للإساءة الجنسية.	قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ٦ ﴾[٢]. وقال رسول الله ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)[٣]. وقال أيضاً ﷺ: (أكرموا أبناءكم وأحسنوا أدبهم)[٤].

الأطفال في حاجة إلى رعاية الآباء والأمهات وتوجيهاتهم ونصائحهم، فإذا شغلت الأسرة عن أبنائها فقد عرضتهم لمخاطر الإساءة الجنسية بأشكالها المختلفة، حيث يهيم الطفل على وجهه ويتخبط بدون ناصح مخلص، فيضطر لمصادقة الأشرار، ومصاحبة الفجار، ويكتسب منهم أسوأ العادات، وقد يستغل الطفل جنسياً ممن يؤتمنون عليه كالخادم والسائق والحارس أو من قريب له يكبره سناً أو من صديق يلعب معه.

---

[٢] سورة التحريم-من الآية ٦.
[٣] سنن أبي داود، في كتاب الزكاة-باب: صلة الرحم، ج٢ ص١٣٢ رقم ١٦٩٢.
[٤] ابن ماجه في سننه-كتاب الأدب-باب: بر الوالد والإحسان إلى البنات ٢٢١١/٢ح ٣٦٧١ عن أنس رضي الله عنه.

لذلك حذر الإسلام العظيم من إهمال الأطفال وعدم توجيههم وإرشادهم، وجعل ذلك إثماً عظيماً. فقد قال ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)[٥]، وقال ﷺ محملاً المسؤولية للأب والأم عن الأسرة: (ألا كلكم راعٍ وعلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم.....)[٦].

فالأب والأم كلاهما مسؤول –أمام الله– سبحانه وتعالى– عن أمانة الأبناء وتوجيههم وحفظهم وتعليمهم وتربيتهم ورعايتهم ومراقبتهم وملاحظة أي ظواهر أو أعراض تبدو عليهم وتدل على تعرضهم للإساءة الجنسية، ويتصل بذلك ضرورة حصول الآباء والأمهات على المعلومات التي تمكنهم من التعرف على هذه الظواهر والأعراض، فإن هم فرَّطوا فسيلقون جزاءً شديداً يوم لا ينفع مال ولا بنون، قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا .... ٦ ﴾[٧]، وفي تفسيرها: (روي عن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– في قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهلِيكُمْ، قال: علموا أهليكم الخير)، وقال الحسن: (تعلمهم وتأمرهم وتنهاهم)، قال أبو بكر الجصاص: (وهذا يدل على أن علينا تعليم أولادنا

[٥] سنن أبي داود، في كتاب الزكاة-باب: صلة الرحم، ج٢ ص١٣٢ رقم ١٦٩٢.
[٦] جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، الحديث رقم ١٨٢٩/٢٠ ج٦/ ٤٥٢.
[٧] سورة التحريم-من الآية ٦.

وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الآداب)[٨]، وهو مثل قول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴿١٣٢﴾ ﴾[٩]، وعلى ذلك فانشغال الآباء والأمهات وترك الأبناء بدون رعاية جريمة خطيرة في الشريعة الإسلامية. كما يجب على الوالدين التقرب إلى الأبناء ومصادقتهم والتعرف على مشاكلهم لمعالجة مثل هذه الأمور قبل أن تتفاقم ويصبح من الصعب علاجها.

ثانياً: طريقة التوعية الجنسية السليمة في الاسلام:

تناول الإسلام هذه الأمور بأسلوب واضح غير مثير ولا مهيج لتوجيه المسلمين وتعليمهم. فالقرآن الكريم يتحدث صراحة عن هذه المعلومات ولكن بأسلوب راق:

- قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾[١٠].
- وقال الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ .... ﴿١٨٧﴾ ﴾[١١].

---

[٨] أحكام القرآن، للجصاص، ٣/ ٤٦٦.
[٩] سورة طه-من الآية ١٣٢.
[١٠] سورة المؤمنون-الآيات ٥-٧.
[١١] سورة البقرة-من الآية ١٨٧.

- وقال الله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[١٢].

وهذه الثقافة والمعلومات الجنسية بالإضافة لاحترام الآخر من الواجب على الأسر والمعلمين والدعاة والموجهين تعليمها للصبية والمراهقين صيانةً لهم من تعلمها من الآخرين فيضلون، على أن تقدم لهم بعبارات غير مثيرة ولا مهيجة مع مراعاة سن المتلقي، فما يقال للصبي يختلف عما يقال لليافع والشاب.

ضرورة الاهتمام بالتوعية الجنسية للأطفال وفقاً لسنهم، وفي ضوء تعاليم الإسلام ومبادئه.

ثالثاً: التحرش:

من المعروف أنه قد حدث انتشار لظاهرة التحرش بالنساء في الشوارع مما يهدر من كرامتهن ويسبب لهن العديد من المشاكل الجسدية والنفسية، ومنها–على سبيل المثال وليس الحصر–انحدار القيم الأخلاقية وضعف الوازع الديني وعدم احترام كرامة المرأة التي هي الابنة والأم والأخت، وهذه الظاهرة تتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية الغرّاء التي حثت على احترام المرأة ورعايتها. ومن المؤكد أن الإسلام حارب هذا السلوك الخاطئ وجميع

[١٢] سورة البقرة-من الآية ٢٢٣.

السلوكيات التي قد تزيد من انتشار هذه الظاهرة، ولهذا أمر بالتزام خُلُق الحياء، وأمر بغض البصر، وعدم التعدي على الحُرُمات.

قال تعالى﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ....﴿٣١﴾ ﴾[١٣].

وقال رسول الله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعِرضه)[١٤]. وهو أمر شامل يؤدي إلى درء هذا الانحراف السلوكي حيثما كان الإنسان.

رابعاً: مشاهدة الأفلام الماجنة والصور الجنسية والمجلات والمواقع الإباحية:

عندما تغيب الرعاية الأسرية يتردى الشباب واليافعون–بقصد أو بدون قصد– في مباءة الأفلام والصور الجنسية أو المجلات التي تنشر صوراً فاضحة أو المواقع الإباحية أو نحو ذلك، وقد يؤدي ذلك إلى الإساءة الجنسية للأطفال، كما إن مشاهدة المناظر الإباحية هو فعل مشين يدين

[١٣] سورة النور-الآية ٣٠ وجزء من الآية ٣١.
[١٤] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب: تحريم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ١٩٨٦/٤ ح٢٥٦٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

صاحبه في كل مرة يفعل هذا، كما أنها تخلق واقعاً يقبل هذه المشاهد الإباحية، وقد يؤدي إلى مزيد من الانحراف الأخلاقي.

والإسلام العظيم وضع أمام الآباء والأمهات والمربين والمسؤولين المنهج القويم في تربية الأبناء[١٥] وأداء ما يجب نحوهم على الوجه الذي بيّناه، كما أوجب الإسلام على المسؤولين عن الإعلام والثقافة والنشر أن يتحملوا مسؤوليتهم في ذلك–بمنع كل الوسائل التي تؤدي إلى الضرر– فقد روى أبو سعيد الخدري– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار)[١٦].

حث الإسلام على ملء أوقات فراغ الشباب واليافعين بما يفيدهم ويحميهم من السلوكيات الضارة.	قال رسول الله ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ)[١٧]. وقال أيضاً ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به)[١٨].

[١٥] تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١٢٨/١.
[١٦] أخرجه ابن ماجة في سننه-كتاب الأحكام- باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، ٧٨٤/٢ ح٢٣٤٠، بسنده عن ابن عباس.
[١٧] أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب: ما جاء في الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، ١٧٧/٤ حديث ٦٤١٢.
[١٨] أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٥١/١٣ح ٧٤٣٤ عن أبي برزة وقال محققه اسناده حسن.

خامساً: نوم الأطفال في فراش واحد:

إن نوم أكثر من طفل في فراش واحد قد يؤدي بقصد أو بدون قصد إلى الإثارة الجنسية مما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وقد تنبه الإسلام العظيم إلى خطورة السبب فقد أمر رسول الله ﷺ بالتفريق بين الأطفال في المضاجع.

سادساً: الفقر:

لا شك أن الفقر من العوامل التي قد تؤدي إلى الانحراف بمختلف أنواعه ولذلك حارب الإسلام الفقر، ووضع من الأحكام ما يحول دون انتشاره في المجتمع حيث أوجب الزكاة على الأغنياء للفقراء، فقد قال ﷺ لسيدنا معاذ عندما بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب... فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم...)[١٩]، ودعا إلى كفالة الأيتام ورعايتهم حيث قال ﷺ: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة)[٢٠]، وأشار مالك[٢١] بالسبابة والوسطى، كما دعا رسول الله ﷺ إلى القيام بأمور الأيتام والأرامل والمساكين من نفقة وكسوة وتأديب وتربية

---

[١٩] جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين، الحديث رقم ١٩/٢٩ ج١/٢٢٨.

[٢٠] أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، الحديث رقم ٢٩٨٣/٤٢ ج٩/٣٣٩.

[٢١] أحد رواة الحديث.

وغير ذلك[٢٢] بقوله ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله– وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)[٢٣].

ومن المؤكد أن المجتمع إذا نهض بهذا الواجب فلن يوجد فقير أو يتيم بدون رعاية يتعرض لما يتعرض له بعض الأطفال من جرائم لا سيما الاعتداء على أعراضهم وأجسادهم.

سابعاً: النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات:

من الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى تردي الأبناء في المخاطر وهي النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات، ذلك أن الطفل عندما يشعر بالشقاق بين أبيه وأمه فقد يهرب من جو المنزل المملوء بالمنازعات، فيتم استغلاله بصور كثيرة قد يكون منها استغلالاً جنسياً أو قد يصبح من أطفال الشوارع.

وقد نبه الإسلام العظيم إلى خطورة ظهور النزاع والشقاق بين الزوجين على الأبناء، ولذلك أمر الزوجين بإخفاء الخلاف وأسبابه وآثاره عن الأسرة، فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن حق الزوجة على زوجها

---

[٢٢] شرح النووي على صحيح مسلم، صحيح مسلم ٣٤٠،٣٩٩/٩.

[٢٣] أخرجه مسلم في صحيحه، في الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، الحديث رقم ٢٩٨٢/٤١ ج٣٣٩/٩.

فقال: (أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت)[٢٤]، (أي لا تهجرها إلا في المضجع)[٢٥].

وعلى هذا فالمسلم مأمور بأنه إذا حدث خلاف مع زوجه، فلا يقاطع أحدهما صاحبه ولا يظهر ذلك علناً أمام الأبناء، وإنما يكون ذلك في المضجع فقط، ومن ثم لا تنتقل آثار الخلاف والشجار لأفراد الأسرة ويشعرون بالخوف على مستقبلهم.

ثامناً: عدم ملء وقت فراغ الأطفال واليافعين بما يفيدهم:

من العوامل الأساسية لوقوع جريمة الإساءة الجنسية للأطفال عدم ملء أوقات فراغهم بما يفيدهم، ويجعلهم فريسة لقرناء السوء الذين قد يزينون لهم جميع أشكال الإساءة الجنسية.

وقد نبه الإسلام العظيم على خطورة الفراغ، وأوجب على الآباء ملاعبة الأبناء وشغل وقتهم فيما يفيدهم، فقد ورد في الأثر: (لاعب ابنك سبعاً وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك له الحبل على الغارب)[٢٦]، وقال رسول الله ﷺ: (علموا أولادكم الرماية والسباحة ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً)[٢٧]، وكان رسول الله ﷺ يلاعب الأطفال، وثبت أن الحسن

---

[٢٤] أخرجه أبو داود في كتاب النكاح- باب: في حق المرأة على زوجها، مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ٦٧/٣.

[٢٥] معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، ضمن مختصر سنن أبي داود، ٦٩/٣.

[٢٦] نقل عن سيدنا عمر، أو علي، وقيل هو من كلام عبد الملك بن مروان (كتاب غرر الخصائص الواضحة) محمد بن إبراهيم الكتبي ص٧١٨.

[٢٧] أخرجه ابن منده وأبو موسى كما في أسد الغابة ٢٤١/١.

والحسين كانا يركبان على ظهره الشريف وهو يمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما ويقول: (نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما)[٢٨].

هذه أهم أسباب وقوع جريمة الإساءة الجنسية للأطفال، وقد رأينا كيف أن الإسلام العظيم اهتم بهذه الأسباب ووضع لها الحلول حتى يكفل للأطفال وغيرهم حياة آمنة خالية من الأمراض والمشكلات. ويبقى على الآباء والمربين والدعاة والإعلاميين والمصلحين ضرورة العمل على تنشئة الأجيال وتربيتهم وفقاً لما تدعو إليه تعاليم الإسلام.

حكم الإساءة الجنسية للأطفال:

حرّم وجرّم الإسلام العظيم الإساءة الجنسية للأطفال لما يترتب عليها من مخاطر جسيمة، ورتب عليها عقوبات شديدة، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[٢٩]، ويقول تعالى وصفاً لعباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾[٣٠]، ويقول أيضاً: ﴿ أَتَأْتُونَ

[٢٨] رواه الطبراني، في الكبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، انظر مجمع الزوائد ١٨٢/٩.
[٢٩] سورة الإسراء-الآية ٣٢.
[٣٠] سورة الفرقان-الآيتان ٦٨،٦٩.

ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦ ﴾[٣١].

وقد وضع الإسلام عقوبات جزائية لهذه الجريمة الخطيرة، لما يترتب عليها من آثار مدمرة للطفل المجني عليه وهذه العقوبات تختلف في شدتها بحسب ما وقع على الطفل من أفعال التحرش.

الإساءة الجنسية للأطفال من الفواحش التي حرمها الإسلام ورتب عليها عقوبات شديدة.	قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾[٣٢].

[٣١] سورة الشعراء-الآيتان ١٦٥،١٦٦.
[٣٢] سورة الإسراء-الآية ٣٢.